

المحاضرة الثالثة

العهد المكي

هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة

الهجرة إلى الحبشة :

ان النبي صلى الله عليه وسلم عندما بدأ دعوته في مكة المكرمة ، مامنا واحد الا ويعلم ان النبي قوبل بالرفض من عموم قريش ، اللهم من هداه الله إلى الإسلام ، و مقاومة شرسة ومقاومة شديدة قوبل بها النبي عليه الصلاة والسلام وقوبل بها أصحابه رضي الله عنهم جميعاً .

في الحقيقة هذا الحدث الجلل في مكة وهذا النبأ العظيم قد قلب المفاهيم العقديّة وكثير من المفاهيم الراسخة عند العرب قلبها هذا النبأ العظيم ، وأول ما بدأ به المعتقد فإنقلاب كبير جدا في مكة وحدث جلل في مكة حقيق بأن يجعل الناس يفاجئون بهذا الأمر وحقيق بأن تكون هناك عداوات ، لأن ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم يلامس العقيدة ، يلامس السلوك ، يلامس المبادئ والأخلاق ، يلامس القيم ، يحرف النفس البشرية من العبودية لغير الله إلى عبادة الله ، يلغي مفاهيم مستقرة في نفوس الناس ، من هذا لا غروا ولا عجب ان يقاوم النبي عليه الصلاة والسلام .

جبهت دعوة النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الكم وهذا العدا والتصدي وتفننت قريش حقيقة في إيذاء النبي عليه الصلاة والسلام وإيذاء أصحابه .

لماذا أن قال أعبدوا الله وحده .. اتركوا هذه الأصنام ..

الواقع بأن الإضطهاد الذي قوبل به المسلمون في مكة المكرمة صعب أن يحتمل عند كثير من الناس ، والمسلمون في مكة يودون أن يمارسوا عباداتهم وأن يؤدوا حق الله عليهم بأمان وإطمئنان ولكن قريش لم تدعهم في حالهم وإنما تفننت في أذيتهم .

الذين أودوا شكوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم مايعانونه من إضطهاد قريش ومن ظلم قريش و من ضرب فنون التعذيب والمضايقة الجسدية والنفسية شكوا إلى النبي عليه الصلاة والسلام هذا الحال .

في الواقع أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى هؤلاء الناس الذين أودوا بالهجرة إلى الحبشة ..

والحبشة : هي جارة لمكة من الجانب الآخر ، بينها وبين مكة البحر ، هي في القارة الأفريقية ومكة في القارة الآسيوية ، لكن لا يفصل بينهما إلا البحر الأحمر .

الهجرة إلى الحبشة :

في الواقع ان الهجرة إلى الحبشة ، كثير من الناس لا ينظر إلى هذا الحدث على أنه حدث جدل أو حدث كبير ، يعني مجرد أن النبي أشار أو ندب أصحابه إلى الهجرة إلى الحبشة من أجل أن يكونوا في مأمن من أذية قريش .. فقط

في الحقيقة كثير من الكتاب أو من عموم الناس ينظرون إلى أن الهجرة إلى الحبشة على أنها في داخل هذا المفهوم .

في الواقع ان الهجرة إلى الحبشة أيضاً حدث جلل ، وحدث له أبعاده السياسية والإقتصادية والإجتماعية والدينية ، حدث فعلاً كبير للغاية .

سبب الهجرة :

يعود سبب الهجرة إلى أربعة أسباب :

✚ سبب أمني

✚ سبب ديني

✚ سبب سياسي

✚ سبب اقتصادي

❖ السبب الأمني :

حماية المسلمين في مكة من ضغط قريش واستهزائهم . سلامة هؤلاء من الإعتداء .

طبعاً هذا الدين الناشئ في مكة المكرمة ، هذه التلة التي إلتفت حول النبي عليه الصلاة والسلام قوبلت ووجهت بأضرب وأصنف من العذاب في مكة المكرمة ومن المواجهة المسعورة في مكة المكرمة لهؤلاء المسلمين .

فمن أجل أن يمارس هؤلاء عبادتهم في أمن وحرية ، استدعى ذلك أن يكونوا في منطقة آمنة ، يمارسوا حريتهم الدينية في هذه المنطقة .

إذن الغبة في الجانب الأمني والرغبة في ممارسة الإسلام في حرية مطلقة كان هذا داعياً وسبباً للهجرة إلى الحبشة .

❖ السبب الديني :

وجود مناخ الحرية لممارسة العبادة وغرس شجرة القدوة في الحبشة والدعوة للدين هناك .

أن يمارس هؤلاء الناس عبادتهم في يسر وسهولة وحرية ، يعني إذا كنت أنت في مكة المكرمة تريد أن تصلي لابد أن تصلي متخفياً ، وإذا ذهبت إلى الحرم لتصلي أدتلك قريش ، قريش تستهزء بك في كل صغيرة وفي كل كبيرة ، فأنت تذهب إلى منطقة آمنة تمارس حريتك الدينية بسلامة ويسر .

❖ السبب السياسي :

الأمل والرغبة في وجود قاعدة حرة وآمنة للدعوة وإيجاد مجتمع ووطن تقام فيه الدولة الإسلامية وينتشر الإسلام هناك .

النبي عليه الصلاة والسلام حينما بعث ، بعث بأهداف محددة ، أو مهمة الرسول ماهي؟!

مهمته أن يبلغ الناس ما نزل إليه ، قال تعالى : (وما على الرسول إلا البلاغ المبين)

يبلغ الناس أنا رسول الله إليكم ، إن استجاب هؤلاء لهذه الدعوة ولهذا المبدأ تبدأ تفاصيل هذا الدين وتبدأ تفاصيل هذه الرسالة .

الدين الإسلامي نزل منهج للمسلم ، منهج للحياة ، سواء كان منهجاً في العقيدة أو كان منهجاً في التشريع سواء كان منهجاً سياسياً ، سواء كان منهجاً اقتصادياً ، سواء كان إجتماعياً ، منهج للحياة كلها على مستوى الجماعة وعلى مستوى الفرد ، ولأن هذا المنهج للبشرية كلها لابد من تنفيذ هذا المنهج من آلية معينة ، ولابد من سلطة لتنفيذ هذا المنهج الذي جاء به هذا النبي الكريم .

القرآن الكريم اشتمل على أحكام شرعية ومبادئ وأخلاق لا يمكن أن نتصور تنفيذها أبداً على أرض الواقع بدون سلطة ، بدون دولة ، ولهذا النبي صلى الله عليه وسلم من ضمن ما هو مكلف به ، مكلف بأن يؤسس دولة إسلامية ، لا شهوة في الحكم ولا رغبة في الحكم ولا طلباً لسياسة أو رئاسة ، لا لم يكن هذا طلبه ولم تكن هذه غايته .

ان دعوة النبي عليه الصلاة والسلام إلى هذا الدين الجديد تحتاج إلى آلية تنفيذ ، تحتاج إلى دولة ، ومن مقتضيات الإسلام وجود دولة إسلامية تقوم بتنفيذ مبادئ الإسلام وأحكام الإسلام على كل المستويات العقدية والسياسية والإجتماعية والإقتصادية ، فالنبي عليه الصلاة والسلام مكلف بإقامة الدولة أيضاً .

ففي مكة المكرمة النبي عليه الصلاة والسلام كان يريد أن يؤسس الدولة لتنفيذ أحكام الإسلام ولكن من أجل أن تقام دولة ، واي دولة في الدنيا من أجل أن تقام لابد أن تتوفر لها ثلاثة عناصر رئيسية :

- وطن تقام عليه الدولة
- مجتمع تقام فيه الدولة
- سلطة

فإذا نظرنا إلى مكة المكرمة ، هل قريش أدت للنبي بأن يقيم الدولة ؟

هل مكة تعتبر وطن للنبي عليه الصلاة والسلام بحيث يكون الركن من أركان الدولة موجود ؟

في الواقع ان مكة المكرمة هي وطن للنبي عليه الصلاة والسلام الذي ولد في ونشأ فيه وترعرع فيه ونما فيه وبعث فيه ، ولكن حيث قد جاء بمنهج جديد يخالف فيه ما يريده الناس ، وحيث قاومته قريش بكل قوتها ، فإن مكة في الحالة هذه لم تعد وطناً سياسياً صالحاً لإقامة هذه الدولة .

إذن مكة الآن ليست صالحة لإقامة هذه الدولة .

النبي يريد ان يقيم هذه الدولة ولكن ليست لديه الآن أركان الدولة ، السلطة التي فقط ينفذها النبي صلى الله عليه وسلم ولكن المجتمع غير موجود والوطن غير موجود ، المجتمع المسلم في مكة المكرمة لايعتبر مجتمع سياسي ، لأنه لا تنطبق عليهم صفات المجتمع السياسي ، فهم مازالوا أقلية تدرج تحت أكثرية ، لذلك لا يمكن أن تقام في هذه الأقلية دولة وليس هذا مجتمعاً سياسياً ، لذلك النبي صلى الله عليه وسلم بدأ يفكر في إيجاد وطن بديل عن مكة المكرمة ، لكي يكون فيها قاعدة أساسية يترعرع فيها الإسلام ولعل يكون هذا الوطن البديل صالحاً لإقامة الدولة .

فالهجرة الى الحبشة هي خطوة من الخطوات التي قام بها النبي عليه الصلاة والسلام لإيجاد أركان الدولة .

حينما نقول هذا الكلام لا نحصر هذا العمل في هذا الجانب السياسي لكنه ملمح سياسي في الهجرة إلى الحبشة ، البحث عن مجتمع جديد ، البحث عن مجتمع ينمو فيهم الإسلام يكمل الإسلام ، وأن يكمل دعوة النبي عليه الصلاة والسلام ، ينتشر الإسلام ، فإذا انتشر الإسلام يكون الوطن تبعاً لذلك .

حينما نتحدث عن جهود النبي عليه الصلاة والسلام في انشاء الدولة وايجاد الدولة ، قد قد لا يظن أحد بأن النبي يسعى لإقامة هذه الدولة رغبة في سيادة أو رغبة في رياسة أو ملك أو جاه .. لا أبداً ليس هذا مطلبه .. لكنه مكلف .. لكن الإسلام يقتضي قيام الدولة .. لأن الإسلام يتضمن أحكام لا يتصور تنفيذها في غياب الدولة ، قال تعالى (**ولكم في القصص حياة يا أولي الألباب**) .

إذا كان هناك قاتل ومقتول وماكان هناك دولة تتابع الأمر وتأخذ الحق للمظلوم وتأخذ على يد الظالم وتقيم أحكام الإسلام فإن الإسلام لن يقوم ، إذن لابد من وجود آلية ، لابد من وجود دولة ، هذا هو كل الكلام عن انشاء الدولة لأن اعلم مقتضيات الإسلام .

النبي عليه الصلاة والسلام ليس طلاب لرياسة أو حكم دولة ، فهو أعلى من ذلك ، النبي يوحى إليه ، **هل هناك أحد يطلب شرف أكثر من هذا ؟!**

ليس هناك ملك ولا وزير يدنو من هذه المرتبة التي هو يدنو فيها .. فهو لا يسعى لأن يكون ملكاً ويستبدل بالذي هو أدنى بالذي هو خير .. لا يمكن ذلك لأنه هو نبي يوحى إليه .. ولهذا جاءه الملك وجاءته السلطة وجاءته الرياسة ، جاءته مجاناً ، فقريش عرضت عليه هذا حينما أحست بعظمة

الإسلام وتنامية وان الإسلام بدأ ينتشر في مكة المكرمة ورأت بوادر الهزيمة النفسية تظهر اتفقت فيما بينها أن ترسل مرسولا إلى النبي عليه الصلاة والسلام ويفاوضوه .

يامحمد نريد أن تتجه اتجاه آخر بطلبك هذا .. ف جاء إليه وقال له يامحمد إن كنت تفعل هذا تريد ملكاً أو جاهاً أو سلطة سودناك علينا أو ملكناك علينا ولا نقطع أمراً دونك .. يعني أنت الملك وأنت السيد خذ هذا مجاناً ، وان كنت تريد من ما تفعله أن تحصل على مال فأبشر نحن نعطيك من أموالنا حتى تكون ثري جداً ، وان كنت تريد شهوة اخترنا لك أحسن أبقارنا وزوجناك ، وان كان الذي يأتيك بك رثياً من الشيطان أو بك جنون إلتمسنا لك الطب ، كل هذه العروض قد عرضت للنبي صلى الله عليه وسلم على طبق من ذهب على أن يترك هذه الأمر الذي جئتنا به وسفهت أعلامنا وفرقت جمعنا فاترك هذا وخذ ما شئت ، النبي عليه الصلاة والسلام لم يكن هذا مطلبه ولا مقصده فقد رد على هذا الذي جاءه وتلى عليه من سورة فصلت (والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر ما تركته أو أهلك دونه)

اذن النبي ليس طلاب رياسة أو سيادة أو ملك لأنه فوق ذلك لأنه نبي يوحى إليه .

فالنبي وهو يرسل هؤلاء إلى الحبشة من أجل أن يجد الناس قاعدة حرة وآمنة للدعوة وإيجاد دولة ووطن تقام فيه الدولة الإسلامية وينتشر الإسلام هناك .

كان هذا ملمحاً سياسياً وكان هذا رغبة في أن ينتشر الإسلام في الحبشة وأن تؤسس وربما تؤسس الدولة في الحبشة .

❖ السبب الإقتصادي :

ان قريش كانت على صلة تجارية مع الحبشة ووجود قاعدة إسلامية هناك سيؤثر على قريش إقتصادياً ، وهذا السبب لا يقصد به أذية قريش فليس ذلك شأن النبي صلى الله عليه وسلم ولكن القصد في ذلك إيجاد عامل قوي يجعلها تفكر تفكيراً سليماً وإيجابياً نحو الإسلام ويدفعها ذلك إلى الإسلام .

تعرفون بأن قريش لها صلات تجارية وثيقة مع الحبشة ، فالنبي حينما يرسل النبي هؤلاء إلى الحبشة ويستقبلهم أهل الحبشة رغبة في أن يستقبلوا في الحبشة وينتشر أمرهم في الحبشة لابد أن يكون هناك تأثير اقتصادي على مكة ، تأثير في العلاقة التجارية ما بين مكة والحبشة ، الظرف يقتضي ذلك .

والنبي أراد أن يشكل ضغطاً إقتصادياً وضغطاً سياسياً على قريش لامن أجل أن يؤذيها ولا من أجل أن يكايدها ولا من أجل أن يماحكها ، ماهذه سنة النبي عليه الصلاة والسلام ، ما أراد إلا أن تكون الهجرة جانبها السياسي وجانبها الإقتصادي يشكل ضغطاً على قريش ، عل قريش نتيجة هذا الضغط تغير من فكرها السلبي هذا إلى الفكر الإيجابي فتقبل الإسلام .

انتبهوا النبي لا يكايده أحداً ، حتى مع أعدائه لا يكايدهم ، هذا نبي يوحى إليه هذا رسول الله .

فعندما نقول ان الهجرة تشكل ضغط سياسي وتشكل ضغط اقتصادي على قريش ، يعني قريش أحست فعلاً بأن هذه الهجرة خطيرة عليها سياسياً ، وأحست فعلاً بأن هذه الهجرة خطيرة عليها إقتصادياً .

النبى أراد أن يشكل هذا الضغط لكن ليس هدفه معاندة قريش ولا محاكاة قريش ولا لسبب أذية قريش ولا لقطع أرزاق قريش ، لا لم يكن هذا هدفه لأنه الشفيق الرحيم على الأطفال والنساء وعلى اناس لم يفهموا الاسلام بعد .

القصـد من هذا لعل هذا الضغط الإقتصادي والسياسي أن يغير الفكر وأن يكون ضغطاً على الفكر كي يتغير إلى الإيجابية .

مثال : ثمامة حينما مسكت به دورية النبي صلى الله عليه وسلم وجاءت به إليه والنبي حبسه في المسجد ثلاثة أيام وأكرمه أيما إكرامه وهو من علية القوم في نجد وبعد ذلك أطلقه النبي عليه الصلاة والسلام بدون أي شرط فحينما رأى ثمامة هذا الإحسان ورأى الإسلام والمسلمين وسمع القرآن ورأى علاقة النبي عليه الصلاة والسلام بأصحابه ورأى أن هذا النبي ليس منتقماً وليس بصاحب دم وليس بصاحب قتال ، حينما أطلقه النبي صلى الله عليه وسلم ذهب إلى بستان في المدينة واغتسل وتطهر ثم عاد إلى النبي وخطب فيه خطبة وأسلم وآمن وقال : انا كنت ذاهب إلى العمرة - طبعاً على الملة السابقة - فجاؤ بي رجالك إلى هنا فإن أذنت لي يارسول الله أن أذهب لأعتمر ، فأذن له وذهب ...

أعلن إسلامه في قريش ، كان هذا وأصحابه يرسلون الحبوب إلى قريش ، فحينما عاد قال والله لن أبعث لكم حبوب المير وسأقطع عنكم اقتصاد قريش وسأمنع عنكم هذا المير وهذا الإمداد الإقتصادي ، وفعلاً منع عنهم ذلك ..

ماذا فعلت قريش؟! !!

قريش عدوة الرسول أرسلت إلى النبي عليه الصلاة والسلام أن نسألك بالرحم أن تسمح لميرة نجد وموارد نجد أن تصل إلى هنا ..

هل منع عنهم النبي؟! !!

لا .. بل قال لا تقطع عنهم الأرزاق ولا تمنع عنهم الإقتصاد

سبب اختيار الحبشة دون سواها :

- لأن الحبشة هي الدولة الوحيدة ذات السيادة المنظمة تنظيمياً سياسياً واقتصادياً وومديناً ، القربية من مكة .
- لأن الحبشة دولة دينية وليست وثنية ، ولذلك أثر كبير في قبول مبدأ الدين عند ساسة تلك الدولة وعدم إنكاره .
- لمراعاة الجانب الأمني ، إذ الحبشة في معزل أمني عن قريش لوجود الفاصل الأمني الطبيعي وهو البحر الأحمر .

- لعدم ملائمة الأوساط السياسية المحيطة بمكة لتلك الهجرة ، فاليمن يخضع آنذاك للفرس وهم على الديانة المجوسية التي لا تعترف بالأديان السماوية ويعبدون النار فهم وثنيون ولن يقبلوا بمبدأ الدين السماوي .

أمنياتي لكم بالتفوق والنجاح

أنتكم/ غزلان الحربي